المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة

دراسة نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب:

سلطان بن عبدالرحمن بن حميد العميري
الرقم الجامعي (٤٢٩٧٠١٤٦)

إشــراف فضيلة الشيخ :

د/ عبدالله بن محمد القرني

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المقدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.... أما بعد :

فإن الدين لا زال ولا يزال أخطر قضية في حياة الإنسان ، وأضخم مسألة في وجوده ، وأجلّ جزء من أجزائه ، وأهم مكون من مكوناته ، وأنفس عنصر من عناصره ، وأغلى ما يملكه الإنسان في حياته.

والنزوع إلى التدين والالتزام بالشعائر التعبدية أخص وصف في الحقيقة الإنسانية ، وأعمق معنى يتجدر في ماهيتها ، فإذا كان الإنسان حيوانا متأملا مفكرا متسائلا باحثا عن الغايات والحِكم بطبعه ، فإنه مع ذلك أيضا حيوان متدين متعبد لا يمكن أن ينفصل عن هذه الحالة أبدا .

فلم تزل البشرية منذ وجودها ملازمة للدين وآخذة به ، ولم تُعرف مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني يظهر فيها خفاء لمعالم الدين أو تخلي الإنسان عن التعبد ، وفي بيان هذه الحقيقة يقول أرنولد توينبي :"إن جوهر الدين ثابت ثبات جوهر الطبيعة البشرية ذاتها ، فالدين في الحقيقة صفة ذاتية مميزة للطبيعة البشرية"[١] ، ويؤكد معجم لاروس للقرن العشرين هذه الحقيقة قائلا :"إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية . وأقربها إلى الحياة الحيوانية ... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية"[٢].

ويعبر المفكر الإسلامي مالك ابن نبي عن هذا المعنى بعبارة بليغة قائلا عن الدين : إنه "ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها"[٣].

فلأجل ذلك كان الدين أعظم مؤثر في تاريخ الإنسانية كلها ، وأعمق دافع موجه للتحركات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وأخطر ما تدور حوله نقاشات العلماء والمفكرين .

---

(١) تاريخ الإنسانية (١٩/١) .

(٢) الدين ، محمد عبدالله دراز (٨٢) .

(٣) الظاهرة القرآنية (٢٨) .

مفهوم ظاهرة نقد الدين :

مع أن الدين متجذر في كيان الإنسان ووجدانه ، ومتعمق في المجتمعات الإنسانية كلها عبر التاريخ البشري الطويل ، إلا أن الفكر الإنساني لم يخلو من وجود أفراد أو جماعات قليلة تعلن العداء للدين وتقوم بتوجيه النقد إلى بنيانه ، أو تثير الشكوك والاعتراضات على حقيقته ، ولا يزال يظهر بين أحيان التاريخ المتعاقبة من ينكر وجود الله أو من ينكر النبوات والرسالات والكتب المقدسة ، وظل الحال كذلك حتى بزغت معالم الفكر الغربي الحديث في الأجواء ، فشهد ظاهرة غريبة كل الغرابة عن الفكر الإنساني ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل .

فقد تشكلت فيه تيارات واسعة ناقمة على الأديان بجميع مكوناتها ، تسعى إلى محاربة الدين وتقويضه وإخفاء معالمه ، وتنسب إلى الإيمان والتعبد كل قبيحة ورذيلة ، وتزعم أن الالتزام بالدين يؤدي إلى فساد الإنسان والإضرار بحياته ، وتقصد إلى تحطيم أركان الأديان وأصولها ، وتستميت في تقبيح صورها وأشكالها ، وتشتد في تهشيم بنيانها وهيكلها ، وتصرح بوجوب التخلص من الدين وإلغائه من المجتمعات الإنسانية ، وتدعو إلى لزوم القضاء على كل رسومه ، بحيث يعيش الناس بلا دين.

ولم يكتف المنخرطون في هذه الظاهرة إلى تحييد الدين وفصله عن الحياة كلها أو بعضها ، وإنما زادوا على ذلك الدعوة إلى محاربته والسعي إلى إلغائه ، فمقصودهم ليس إلغاء تدخل الدين في الحياة ، وإنما يقصدون إلى إخفاء الدين من الوجود بالكلية ، وهدفهم ليس في العيش بلا دين يتدخل في أنظمة الحياة ، وإنما يهدفون على تقويض معالم الدين ومحاربته .

فالأديان في نظرهم ليست سوى تزويرات وخرافات وأساطير ، وهي في نظرهم نشأت من خلال مخاوف الإنسان البدائي من الفيضانات وغيرها من الكوارث التي تقع في الأرض ، أو بسبب جهله بأسرار الطبيعة أو بسبب خوفه من الأرواح الميتة ، وما هي في نظرهم إلا سبب للاضطرابات والانقسامات والحروب وإفساد الحياة الإنسانية وإحداث الأضرار بها ، وليست إلا تنظيما بشريا ظالما .

وهي عند بعضهم أنظمة ظالمة أقامها قسيسون وملوك في مؤامرة كبرى لتبرير الطغيان في سبيل فرض جائر لعقيدة تقليدية ، ولن يجد الجنس البشري مطلقا مهربا من هذه المؤامرة الشريرة إلا بإتباع نور العقل تحديا للقساوسة والملوك .

والأديـان عنـد آخـرين مـنهم مـا هـي إلا تنظيمـات مناقضـة للعقـل والعلـم ، والإلتـزام بهـا يـدخل العقـل الإنساني في متاهات واضطرابات لا حدود لها .

وانتهى بعضهم إلى التصريح بأن الإيمان بالخالق للكون ما هو إلا خرافة وأسطورية لا يقوم عليها دليل ولا يسنده برهان ، وصرح بعضهم بأن ذلك ما هو إلا فكرة خرافية اخترعها الإنسان ليسوغ بها عجزه في مقاومة مصاعب الطبيعة ، بل أخذ بعضهم يجاهر بأنه العدو الشخصي للإله ، وطالب بإخفاء كلمة الله من اللغة وإزالتها من القاموس ، وطفق آخرون منهم يصرحون بأن الإقرار بوجود الخالق للكون ما هو إلا مظهر من مظاهر الضعف الإنساني ، وانتهى بعضهم إلى التصريح بموت الإله ، وضرورة وضع الإنسان السوبرمان محله .

وأما النبوات والوحي الإلهي فإنها هي الأخرى ما هي في نظرهم إلا أمور خارجة عن المعقول ومناقضة لقوانين العقل ، وما هي إلا خرافات وأساطير منقولة عن الشعوب البدائية الخرافية .

وفي مسيرتهم النقدية المتخبطة أثاروا ركاما كبيرا من الاعتراضات والشكوك على وجود الله تعالى وكماله وتدبيره للكون ، وعلى الأدلة الكونية العقلية الدالة على وجوده ، وأقاموا كما كبيرا من الانتقادات على النبوة والوحي وعلى الأنظمة التشريعية للأديان .

وصاحب ذلك كله تضخم في النزعة الإنسانية ، فانتهى الحال بالمنخرطين في ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث إلى مرحلة الاستغناء عن الله في كل شيء ، وأضحوا يتصورون العقل الإنساني بأنه على كل شيء قدير ، وأنه السبيل الوحيد للبلوغ إلى كنه كل الحقائق الوجودية ، وأن كل حقيقة لا يمكن للعقل الوصول إليها فما هي إلا خرافة وأسطورة ، فالعقل الإنساني هو المصدر الوحيد لكل المعارف ، وهو الميزان المتفرد في الحكم على كل شيء ، وهو المعيار الوزان المعتمد في تحديد المصالح والمنافع ، وهو المنقذ الوحيد للبشرية من الخرافات والأساطير وأخطاء الأديان

وباتوا يعتقدون أن الإنسان هو الموجود الأعظم في هذا الكون ، وأن له السيادة الكونية التي يجب أن يخضع لها كل شيء ، ولا تخضع هي لشيء ، فالإنسان والإنسان وحده أصبح مقياسا لكل شيء ، وانتهى غلاتهم إلى التصريح بأن : الإنسان قد خضع لله بسبب عجزه وجهله ، والآن وقد تعلم وسيطر على البيئة فقد آن أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجهل والعجز على عاتق الله ، ومن ثم يصبح هو الله .

ولم يكتفِ المنخرطون في ظاهرة نقد الدين بهذا الغلو وإظهار الاستغناء عن الأديان والإيمان بالله ، وإنما طفقوا يدّعون بأن البشرية في العصر الحديث اكتشفوا منقذا آخر يغنيهم عن كل ما سواه ، إنه العلم التجريبي الحديث ، فساد لديهم الاعتقاد بأن العلم التجريبي قادر على الإحاطة بكل الحقائق الكونية ، وأنه يستطيع أن يكفي الإنسان في تأسيس كل الأنظمة الاجتماعية والسياسية والنفسية والأخلاقية ، وأن البشر لم يعودوا في حاجة إلى أي مصدر آخر للمعرفة أو الأنظمة مع وجود العلم ، فقد أغناهم العلم التجريبي عن كل المصادر الفلسفية والدينية وغيرها التي كانوا يعتمدون عليها .

وبات بعضهم يتصور بأن الإنسانية لم تعد في حاجة إلى الإيمان بوجود الخالق للكون ، لأن العلم استطاع تفسير كل أسراره وخفاياه ، ولم تعد البشرية في حاجة إلى الأديان وإرشاد الله لها عن طريق الوحي ؛ لأن العلم يمكنه أن يرشد الإنسان إلى كل ما فيه خير وصالح له في جميع مجالات الحياة .

وأضحى رجال العلم هم الأنبياء والرسل ، فساد الاعتقاد بأن أي أمر يحتاج الإنسان فيه إلى معرفة الخير والشر فيها فما عليه إلا أن يذهب إلى رجل العلم ، فهو المخول الوحيد في أعطاء المعلومة الصحيحة الفاضلة .

تلكم هي ظاهرة نقد الدين التي ظهرت في الفكر الغربي الحديث ، ويمكن أن يحصّل مفهومها في القول بأنها **حركة اجتماعية فكرية تسعى إلى محاربة الدين وإلغائه من حياة الإنسان جملة ، وتقصد إلى استغناء الإنسان بنفسه عن كل شيء ، بحيث يعيش في حياته بلا دين في كل شؤون حياته العامة والخاصة** .

فظاهرة نقد الدين ، التي نحن بصدد الدخول في تفاصيلها لا تقصد إلى عزل الدين عن التحكم في شؤون الحياة ولا إلى جعل الدين اختيارا شخصيا يترك الأخذ به لمن رغب فيه ، وإنما هي حركة تجاوزت ذلك كله إلى اتهام الدين بالإفساد ، والاعتقاد بأن الأديان ضرر وبيل على حياة الإنسان .

فالبحث إذن لا يقصد إلى دراسة الحركة التي تدعو إلى مجرد فصل الدين عن الحياة من غير تعرض لنقد الدين ، وإنما يقصد بشكل أساسي إلى دراسة الحركة الفكرية الاجتماعية التي تجاوزت هذا القدر ، وأخذت تسعى في نقد الدين وتقويض أركانه .

وبهذا المفهوم يظهر الفرق بين مفهوم ظاهرة نقد الدين وبين الحركة التي تدعو إلى فصل الدين عن الحياة كلها أو بعضها ، فظاهرة نقد الدين تتضمن معنى أوسع من مجرد فصل الدين عن الحياة ، فهي تزيد على ذلك السعي في محاربة الدين وتوجيه سهام النقد إليه والقصد إلى تقويضه وإزالته من الوجود .

والمنخرطون في ظاهرة نقد الدين مع كثرة أعدادهم وتنوع توجهاتهم يتفرعون إلى ثلاث اتجاهات أساسية :

أما الاتجاه الأول ، فهم الذي أقروا بوجود الخالق للكون ، ولكنهم أنكروا الإيمان بالنبوات وأعلنوا الكفر بها ، وقصدوا إلى نقدها .

وأما الاتجاه الثاني ، فهم الذين لم يؤمنون بوجود الخالق للكون ، ويجزمون بأن الكون لم يحدث بخلق فاعل قادر عليه ، ويعقدون أن الله تعالى لا وجود له .

وأما الاتجاه الثالث ، فهم الذين لم يصلوا إلى درجة اليقين في إنكار الخالق ، وإنما بقوا متشككين في وجود ومترددين في إثبات وجوده .

والقدر المشترك بين أتباع الاتجاهات الثلاث أنهم اتخذوا من الأديان موقفا معاديا ، وقصدوا إلى نقضها ، ورموها عن قوس واحدة .

تطورات ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة(١) :

اختلفت أقوال الدارسين كثيرا — مع إقرارهم بصعوبة الفصل بين المراحل التاريخية – في تحديد المدة الزمنية التي تمثل مرحلة الفلسفة الحديثة في الفكر الغربي ، وذهب كثير منهم إلى أنها تبدأ من القرن السابع عشر ، وتنتهي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين(٢)، فهذه المرحلة التاريخية هي التي تمثل مرحلة الفلسفة الحديثة في الفكر الغربي .

(١) سأنوع في الاستعمال بين التعبير بالفلسفة الحديثة ، والتعبير بالفكر الغربي الحديث ؛ لأنهما بمعنى واحد .

(٢) انظر : تاريخ الفلسفة الحديثة ، وليم كلي رايت (٢٨-٣١) ، والفلسفة المعاصرة في أوربا ، بوشنسكي (٢١) ، وتاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم (٨) ، ودراسات في الفلسفة الحديثة ، محمود زقزوق (١٥) .

وقد شهدت هذه المرحلة تطورا كبيرا في جميع المجالات المعرفية والفلسفية والفكرية ، وعايشت تحركا علميا واسعا في شتى الاتجاهات ، وقد تنوعت معالم ذلك النشاط وترجع في مجملها إلى بعدين أساسيين : أما الأول فهو التوجه نحو الموضوعات القديمة بالنقد والتمحيص والتدقيق ، وأما الثاني : فهو استحداث موضوعات فلسفية وعلمية جديدة ، لم يسبق للعقل الغربي أن خصها بالبحث والتفكير .

وأما المجالات المتعلقة بالدين فهي أيضا شهدت تطورا كبيرا وانتعاشا ضخما ، فبعد أن كان البحث فيها مقتصرا في غالبه على تأييد ما تقوله الكنيسة وتقوية ما تعتقده ، فقد انقشع الركود عنها وجرت الروح في عروقها وتحركت عجلات مراكبها بسرعة متتالية ، فأصبحت أجواء القضايا الدينية تغلي غليانا كبيرا من شدة البحوث والحوارات المحتدمة حولها ، فتحولت ساحاتها إلى حلقات صاخبة للبحث وميادين حافلة بالتحرك والنشاط .

وتتلخص معالم ذلك التحرك في أمرين : **أما الأول** : فهو في فتح نوافذ جديدة في دراسة الموضوعات القديمة ، والقيام بدراستها من جهات لم تكن مطروقة من قبل ، **وأما الثاني** : فهو في استحداث موضوعات جديدة في المجال الديني لم تكن مبحوثة من قبل .

ومن أهم الموضوعات الدينية التي كانت محلا لذلك التحرك العلمي والبحث : وجود الله تعالى والأدلة الدالة عليه إثباتا ونفيا ، وحقيقة الوجود الإلهي وإمكان تصور العقل الإنساني له ، وطبيعة الوجود الإلهي وعلاقته بالكون ، وإمكان النبوة والأدلة الدالة عليها ، إثباتا ونفيا ، وتحقق النبوة في أشخاص الأنبياء ، والبحث في طبيعة المعجزات ، ودراسة الكتب المقدسة ومنهجية إثبات صدقها وسلامتها من التحريف والتبديل ، وتاريخ الأديان وتطورات العلاقة بينها ، وطبيعة الدين وتحديد الأصل في تدين الإنسان هل هو التوحيد أو الإشراك ، وفوائد الأديان وآثارها على المجتمعات الإنسانية.

وكان النقاش فيها مشتعلا بين التيار المؤمن بالأديان والمقر بصحتها ووجوبها وضرورتها ، وبين التيار الثائر على الأديان والناقد لها والساعي إلى تقويضها .

وتتلخص أبرز التطورات الحديثة في ظاهرة نقد الدين في الأمور التالية[(١)] :

الأمر الأول : أن ظاهرة نقد الدين قد انتشرت في الفكر الغربي في العصر الحديث انتشارا واسعا ، وشاعت فيه شيوعا لم يظهر له مثيل في التاريخ الإنساني ، فبدل أن كان الإلحاد وعدم الإيمان بالله قليل الوجود في المجتمعات الإنسانية بات اعتقاده منتشرا بين أطياف كثيرة من أفراد المجتمع الغربي ، بل أمسى اعتقاده سائغا ومقبولا ويمثل حالة طبيعية في تلك المجتمعات ، وكذلك انتشر فيه التنكر الشديد للنبوات والرسالات ، والقدح البليغ في الأديان ، والنفرة منها ، ومن أحكامها .

الأمر الثاني : أن التيار الناقد للأديان أخذ يستند إلى التطورات الفلسفية والعلمية المؤثرة ، فقد طفق يعتمد على أفكار عدد من الفلاسفة المشهورين في مرحلة العصر الحديث ، ويرتكز إليها في تدعيم مواقفه الناقدة للأديان ، ومع تطور الأمور أخذ يستثمر عددا من النظريات العلمية التجريبية التي وقع بسببها الصداع بين الكنيسة والعلماء ، واستغل ذلك الصراع ، وجعله دليلا على بطلان الأديان ، وإثبات كونها محاربة للتقدم والتطور والرقي ، وساعية لمحاربة كل ما يصب في مصلحة الإنسان ويسعده في الحياة ، فضلا عن أنها مخالفة لحقائق العلم الصحيحة .

ومع تطور الاكتشافات العلمية أخذ التيار الناقد للدين يستثمر عددا من النظريات العلمية في علم الفيزياء والبيولوجيا والفلك ، وصيروها حججا وبراهين لقولهم المنكر لوجود الله ولإمكانية الوحي والرسالة .

الأمر الثالث : أن نقد الدين في العصر الحديث كان عنيفا جدا ، وقاسيا إلى أبعد حد ، استعملت فيه كل الأساليب التي يمكن أن تستعمل في نقد شيء ما ، وتقويضه وتنفير الناس منه ، وقد غلب على اللغة المستعملة لدى نقاد الدين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر لغة التهكم والسخرية والاستخفاف بالأديان والأنبياء والشرائع والأحكام ، بل بلغ الحال أن أخذ بعضهم يسخر بالإله ذاته ، ويستخدم في وصفه أقبح الأوصاف وأسوئها .

الأمر الرابع : أنه مع الانهزامات المتتالية للكنيسة أمام التطور العلمي ، وأمام الهجمات الناقدة لعقائدها الدينية ، وتطوراتها الكونية أضحى التيار الناقد للدين مقبولا في المجتمع ، لا يمثل حالة منكرة ، وفي القرن الثامن عشر شهد التيار المنكر للنبوة والرسالة شيوعا واسعا في المجتمع ، ويعتنقه أشهر الفلاسفة

(١) سيأتي ذكر الشواهد والأمثلة التي تدل على صحة هذه التطورات في أثناء الفصل الثاني من الباب الأول ، من ص١٢٢-١٩١.

والعلماء والأدباء ، وفي القرن التاسع عشر غدا الإلحاد والإنكار لوجود الله تيارا شائعا في المجتمع الغربي ، ولم يعد يمثل خروجا شاذا عن نمط المعهود .

الأمر الخامس : كان التيار الناقد بكل أطيافه يعاني قبل مرحلة العصر الحديث من الانطواء والانزواء نتيجة لضعف موقفه وهزالة فكرته ونفور المجتمعات منه ، ولكنه مع التحول الفكري الكبير في الفكر الغربي الحديث أخذ في السعي لنشر أفكاره والتبشير بآرائه ، فبادر رواده إلى تأليف الكتب الواضحة والصريحة في مواجهة العقائد الدينية ، وتأليف الروايات والقصص الناقدة للدين ، وكذلك الأشعار والمسرحيات وغيرها ، وأضحت جهودهم من أكثر الجهود انتشارا في المجتمع الغربي ، وأقبلت عليها تلك المجتمعات إقبالا كبيرا جدا .

فهذه الأمور وغيرها هي الدافع وراء قصر مساحة البحث على مرحلة الفكر الغربي الحديث ، وتركيز الحديث عن تشكلات ظاهرة نقد الدين التي ظهرت أثناءه ، ولا يعني هذا أن البحث لن يتعرض لمشاهد نقد الدين التي كان بعد هذه المرحلة ، ولكن التعرض لن سيكون مختصرا بحسب ما يقتضيه الحال والمقام .

أهمية دراسة ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث :

مع أن ظاهرة نقد الدين نشأة في العالم الغربي ، وتشكلت رسومها في بلدانها ، إلا أن دراستها والتنقيب في معالمها وآثارها ، أضحى أمرا مهما لكل أتباع الأديان ، ولأهل دين الإسلام بالخصوص ، وذلك لثلاثة أسباب أساسية :

السبب الأول : أن تلك الظاهرة تتعلق بأخطر أمر في حياة الإنسان ، وأجل مكون من مكوناته ، وأنفس عنصر من عناصره ، وهو جانب الدين ، فكل ما يتعلق به فهو أمر بالغ الأهمية ، عالي المنزلة رفيع الدرجة ، فهو أنفس ما بذلت فيه الأوقات وأعز ما صرفت لأجله الجهود .

السبب الثاني : أن المنخرطين في ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث لم يقصروا نقدهم على الدين الذي كانوا يرون فيه الضلال والفساد ، وهو الدين الكنسي – النصراني المحرف- ، وإنما انتهوا إلى نقد كل الأديان ، وحكموا عليها بالفساد والبطلان ، وسعوا إلى تصدير أحكامهم العامة الجائرة إلى كل البلدان ، وجعلوا ما حكموا به بناءً على تصوراتهم عن دين الكنيسة المحرف معيارا يستوعب جميع الأديان في العالم .

السبب الثالث : أن تلك الظاهرة لم تبق في البلاد التي نشأت فيها ، وإنما عَبَرت منها إلى بلدان العالم المختلفة ، ولم يكن العالم الإسلامي في منئ عن الاصطلاء بلهيب تلك الظاهرة ، ولم يفلت من الهزة التي شملت الديانات كلها في جميع العالم ، فقد تأثر العالم الإسلامي بالموجة المادية التي اكتسحت العالم مع انتصار الحضارة الغربية المعاصرة ، وتلطخت بها عقول كثير من المثقفين والمفكرين .

فانتقلت موجة نقد الأديان إلى العالم الإسلامي ، وطفق كثير من الشباب يتبنى أصل فكرة النقمة على الأديان ، والسعي إلى نقدها وتهديم رسومها ومعالمها ، فترى كثيرا منهم يكرر ما يقرأه في كتب المفكرين الغربيين الناقدين على الأديان أو ما يسمعه في خطبهم وحواراتهم ونقاشاتهم ، وغدونا نسمع في بلاد العالم الإسلامي بكل الأفكار المعادية للأديان ، وبجميع اتجاهاتها .

بل تطور الأمر ببعضهم ، وأخذ يسعى إلى تقديم نقد خاص بدين الإسلام ، فتراه يدعي بأن الإسلام مخالف للعلم الحديث ، ثم يسوق على ذلك أمثلة من نصوص القرآن والسنة ، ولا يكتفي بالأمثلة التي يذكرها علماء الغرب ، وتراه يدعي بأن الإسلام مخالف للعقل ، ثم يسوق على ذلك أمثلة من نصوص الكتاب والسنة ، وكذلك يدعي بعضهم أن الإسلام ظالم للمرأة ، ويذكر أمثلة على ذلك من نصوص الكتاب والسنة ، وهكذا الحال في جميع الأبواب التي تعرضت لها ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي .

طبيعة البحث ومساراته :

يقصد البحث إلى التنقيب عن ظاهرة نقد الدين التي ولدت في الفكر الغربي الحديث ونمت في أحضانه ، ودراسة الأسباب التي كانت وراء ظهورها ، والكشف عن أهم التشكلات الأساسية التي تمثل بالنسبة لها معالم ومنارات بارزة في هيكلها ، ويسعى إلى تحديد أهم التيارات التي اشتركت في إنشاء تلك الظاهرة وتسيير عجلتها .

ويهدف إلى رصد أهم المرتكزات المنهجية الكلية التي استند إليها المنخرطون في ظاهرة نقد الدين في بناء آرائهم النقدية وتسويغ مواقفهم المحاربة الأديان ، سواء منها المرتكزات الفلسفية التأملية المحضة ، أو المرتكزات التي تنبع من مجال العلم التجريبي الحديث .

ويجمع البحث مع ذلك الغوص في أهم المجالات الدينية التي خاض فيه الناقدون للأديان ، ويرصد أصول الاعتراضات التي أثاروها ضد أركانها وأهم التشكيكات التي أحاطوا بها أصولها .

وحين كان شأن الدين عظيما ، وأمره خطيرا ، ومنزلته عالية ، وعمقه متجذر في الحقيقة الإنسانية ، فإنه لا يقبل في الدراسات المتعلقة بالتيارات الناقدة له أن تقتصر على الجانب الوصفي المجرد ، وإنما لا بد فيه من النقد والتمحيص للمقالات الناقدة للدين ، والبيان لما فيها من الأغلاط التصورية والأخطاء الاستدلالية .

ولأجل هذا لم يكن غرض هذه الدراسة الاقتصار على مجرد العرض لمعالم الظاهرة الناقدة للدين في الفكر الغربي الحديث ، وتفسير أحداثها والربط بين تشكلاتها ، ولا الاكتفاء باللغة التحذيرية الإجمالية ، وإنما جمعت مع ذلك النقد المنهجي المنفصل لأهم أصولها الكلية التي قامت عليها ، والتقويض التفصيلي لكثير من الاعتراضات التي تعلقت بمجالات الدين الإسلامية .

وبناءً عليه ، فإن بنيان البحث أضحى منشطرًا إلى قسيمين أساسيين :

القسم الأول : الجانب الوصفي ، وقد استند هذا الجانب إلى ذكر أسباب ظاهرة نقد الدين ، وتشكلاتها الإجمالية ، وتياراتها المشتركة في تأسيسها .

القسم الثاني : الجانب النقدي ، وقد استند هذا الجانب إلى رصد أهم المرتكزات المنهجية التي اعتمد عليها الناقدون للأديان ، وبيان ما فيها من أغلاط منهجية ، وأخطاء استدلالية ، واستند أيضا إلى رصد أصول الاعتراضات التي أثارها الناقدون على وجود الله تعالى وكماله ، وعلى النبوة والوحي ، وعلى أصل الأديان وطبيعتها ، وبيان ما فيه من أغلاط وأخطاء .

وقد اقتصرت الدراسة في الجانب الوصفي على أهم التشكلات التي ظهرت في مرحلة العصر الحديث، الممدة من القرن السابع عشر الميلادي إلى نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين .

وأما في الجانب النقدي ، فإنها لم تقتصر في مناقشة المرتكزات على ما كان حاضرا في العصر الحديث ، وإنما جمعت مع ذلك مناقشة المرتكزات التي اعتمد عليها الناقدون للأديان في مرحلة الفكر المعاصر ؛ تكميلا للصورة ؛ ولأن كثيرا من المرتكزات الحاضرة عند المعاصرين لا تعدو أن تكون امتدادا لما كان موجودا ، أو تطويرا له ، أو تغييرا في شكله ومثاله .

وقد بلغ عدد المرتكزات المنهجية التي تعرضت لها الدراسة بالبحث والنقد والتفويض ثمانية مرتكزات أساسية .

وأما ما يتعلق بالاعتراضات التفصيلية التي أثيرت على مجالات الدين الأساسية — وجود الله وكماله والنبوة والوحي وأصل الدين وطبيعته — فإن الدراسة لم تقتصر على ما كان مطروحا في مرحلة الفكر الحديث ، ولا على ما كان متعلقا بالدين المسيحي ، وإنما جمعت مع ذلك ما كان متعلقا منها بالدين الإسلامي ، ومع أن كثيرا من الاعتراضات عام في فكرته الأصلي ، إلا أن المناقشة التفصيلية للأمثلة سيكون مرتكزا على ما هو متعلق بدين الإسلام ؛ لأنه الدين الصحيح الوحيد ؛ ولأن ذلك هو الأنفع والأصلح للمتابعين لتلك الظاهرة من الشباب المسلم .

وقد بلغ عدد الاعتراضات التفصيلية التي تعرضت لها الدراسة بالبحث والنقد والتقويض أكثر من خمسة وثمانين اعتراضا ، وهي متنوعة بتنوع متعلقاتها ، فبعضها متعلق بوجود الخالق سبحانه وكماله ، وبعضها متعلقة بالنبوة والوحي ، وبعضها متعلقة بطبيعة الأديان وأصلها وانضابط أحكامها .

خارطة البحث وخطته :

يقوم هيكل البحث على ثلاثة أمور أساسية :

الأمر الأول : البحث في مكونات ظاهرة نقد الدين ومعالمها الأساسية .

الأمر الثاني : البحث في الأصول المنهجية التي ارتكز عليها الناقدون للأديان في بناء مواقفهم .

الأمر الثالث : البحث في المجالات الدينية التي خاض فيها المنخرطون في ظاهرة نقد الدين ، ورصد أصول ما أثاروه حولها من الاعتراضات .

وبناءً عليه ، فإن خارطة البحث ستكون مقسمة على الصورة التالية :

المقدمة : وفيها بيان مفهوم ظاهرة نقد الدين وأهم معالم تطوراتها في العصر الحديث ، وأهمية دراسة تلك الظاهرة ، وبيان طبيعة البحث ومساراته .

الباب الأول : مكونات ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ، وفيه مدخل وثلاثة فصول
:

أما التمهيد : ففيه البحث عن منهجية دراسة الظواهر الإنسانية .

وأما الفصل الأول : **أسباب تشكل ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ، وفيه مدخل ،** أربعة أسباب أساسية :

مدخل : أهمية دراسة الأسباب .

السبب الأول : تحريف الدين المسيحي وخروج مكوناته عن العقل .

السبب الثاني : ضخامة فساد الكنيسة وظلام تاريخها .

السبب الثالث : تطور الوعي الأوربي وتوسع مداركه وتجاوزه للكنيسة.

السبب الرابع : إخفاق الإصلاح الديني وقصوره النقدي .

وأما الفصل الثاني : وهو : تشكلات ظاهرة نقد الدين ، ومنابعها ، ويتفرع إلى مدخل ، وثلاثة أمور أساسية :

الأمر الأول : تشكلات ظاهرة نقد الدين في القرن السابع عشر الميلادي .

الأمر الثاني : تشكلات ظاهرة نقد الدين في القرن الثامن عشر الميلادي .

الأمر الثالث : تشكلات ظاهرة نقد الدين في القرن التاسع عشر الميلادي .

وأما الفصل الثالث : وهو : تيارات ظاهرة نقد الدين ، ومساراتها ، ويتفرع إلى مدخل ، وثلاث تيارات أساسية :

التيار الأول : الإلحاد المؤكد لإنكار وجود الإله .

التيار الثاني : الإلحاد الارتيابي" الشكي " .

التيار الثالث : الدين الربوبي "الدين الطبيعي" .

وأما الباب الثالث ، وهو : الركائز المنهجية التي اعتمدت عليها ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ، وفيه مدخل وفصلان :

أما المدخل : وفيه الحديث عن أهمية البحث في الأصول المنهجية للأفكار والتيارات .

وأما الفصل الأول : وهو : الركائز الفلسفية التي اعتمدت عليها ظاهرة نقد الدين ، ويتفرع إلى مدخل وخمس ركائز :

ومدخل : وفيه توصيف إجمالي للركائز الفلسفية التي قامت عليها ظاهرة نقد الدين .

الركيزة الأولى : نزعة "الإنسانية المستغنية" .

الركيزة الثانية : اعتماد المنهج الحسي .

الركيزة الثالثة : اعتماد مبدأ التحقيق .

الركيزة الرابعة : اعتماد مذهب الشك المعرفي .

الركيزة الخامسة : الاعتقاد بانحصار الوجود في المادة "النزعة المادية" .

وأما الفصل الثاني ، وهو : الأصول العلمية التي اعتمدت عليها ظاهرة نقد الدين ، ويتقرع إلى مدخل وثلاث ركائز :

مدخل : وفيه توصيف إجمالي للركائز العلمية التي اعتمدت عليها ظاهرة نقد الدين .

الركيزة الأول : الاستغناء بالعلم "النزعة العلموية" .

الركيزة الثاني : الاعتماد على فرضية التطور الداروييني .

الركيزة الثالث : الاعتماد على فرضية الحتمية الفيزيائية .

وأما الباب الثالث : وهو : مجالات نقد الدين ، وفيه : مدخل ، وثلاثة فصول :

أما المدخل : فيه توصيف إجمالي لطبيعة الاعتراضات التفصلية التي أثارها الناقدون للأديان على المجالات الدينية .

وأما الفصل الأول : وهو الاعتراض على الوجود الإلهي وكماله ، فيتفرع إلى مدخل ومبحثين :

المدخل : وفيه توصيف إجمالي لأهمية موضوع الوجود الإلهي .

المبحث الثاني : الأصول التي يقوم عليها الإيمان بوجود الله .

المبحث الثاني : الاعتراضات التي أثارها الناقدون للأديان على وجود الله وكماله ، وفيه مقامان :

المقام الأول : الاعتراضات التي أثارها الناقدون للأديان على الإيمان بوجود الله وكماله .

المقام الثاني : الاعتراضات التي أثارها الناقدون على أدلة وجود الله وكماله .

وأما الفصل الثاني : ، وهو الاعتراض على الوحي والنبوة ، فيتفرع إلى مدخل ومبحثين :

المدخل ، وفيه الحديث عن أهمية موضوع النبوة ومحوريته في الأديان .

المبحث الأول : الأصول الكلية التي يقوم عليها الإيمان بالنبوة .

المبحث الثاني : اعتراضات الناقدين للأديان على النبوة وأدلتها ، وفيه مقامان :

المقام الأول : الاعتراض على النبوة وكمالها .

المقام الثاني : الاعتراض على أدلة النبوة .

وأما الفصل الثالث : وهو : الاعتراض على أصل الأديان وطبيعتها ، فيتفرع إلى مدخل ومبحثان :

المدخل : وفيه توصيف إجمالي لطبيعة الاعتراض على الأديان .

المبحث الأول : الأصول التي يقوم عليها الإيمان بالأديان .

المبحث الثاني: الاعتراضات الإجمالية على صحة الأديان وطبيعتها

الخاتمة ، وفيها عرض لأصول المغالطات المنطقية والاستدلالية التي وقع فيه الناقدون للأديان .

صعوبات البحث ومضايقه :

مع أهمية البحث ومحوريته ، إلا أنه قد أحاطت به صعوبات كثيرة ، واحتفت به مضايق متنوعة ، جعلت السير في مسالكه عسيرا ، والتنقل بين ساحاته عصيبا ، ومن أهم تلك الصعوبات والمضايق :

١ – **من جهة طبيعة موضوعاته** ، فإنها موضوعات واسعة الأرجاء ، فسيح الأركان ، تشمل أبوابا كثيرة ، مجالات عديدة ، فيها مادة تاريخية واسعة ، ومادة فلسفية كثيرة ، ومادة بيولوجية وفيزيائية فلكية واجتماعية ونفسية غزيرة ، فكل مادة من هذه المواد لها تعلق كبير بموضوع البحث ، ولا بد من أعطاء كل مادة ما يناسب حجمها ويتسق مع طبيعتها .

٢ – **من جهة طبيعة الاعتراضات المتعلقة بالموضوع** ، فإن عدد الاعتراضات التي أثارها الناقدون للأديان كثير جدا ، وبلغت عددا لا يكاد يحصى ، فإن ما ينتجه العقل الإنسان من الأسئلة لا حد له ولا ضابط يمنعه .

ولأجل هذا ، فإنه الصعب جدا تتبع كل الاعتراضات وجميع ما ينتجه العقل الإنساني الناقد للأديان، فإن ذلك لا يكاد ينتهي ، ولا بد من الاقتصار على بعض تلك الاعتراضات ، وقد وجدت صعوبة بالغة في تحديد أهم الاعتراضات وأصول الأسئلة التي يعد نقدها وتفنيدها كافيا لبيان الخلل في الظاهرة الناقدة لكل الأديان .

٣ – **من جهة الأصول المنهجية الحاكمة للموضوع** ، نتيجة لسعة مجالات الموضوع وكثرة الاعتراضات التفصيلية التي أثارها الناقدون حول الأديان ، فإن تحديد الأصول المنهجية الحاكمة لمسار البحث والضابطة لقوانين الحجاج والجدل فيه أضحت أمرا صعبا ، وقد اجتهدت في رصد أهم الأصول المنهجية وتفعيلها في البحث والدراسة ، والتنبيه عليها وعلى أهيمة الالتزام بها كلما وجدت مناسبة لذلك في أثناء البحث .

٤-**من جهة مراجع البحث ومصادره** ، نتيجة للأمور السابقة ، فإن مراجع البحث كانت في غاية الكثرة ونهاية الاتساع والتنوع والثراء ، وكان تتبع مواطنها وأخبارها وجمعها من أصعب الأمور وأعسرها ، وقد يسر الله تعالى لي جمع عدد كبير منها ، ومن علي بالاطلاع على قدر واسع من المراجع المتعلقة بموضوعات البحث .

وأسأل الله عز وجل أن يغفر الزلل ، ويستر العيب ، ويعين على إكمال النقص ، وإصلاح الخلل ، وأن يرزقنا جميعا الصلاح في النية والقول والعمل .

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ، دراسة نقدية .

اسم الباحث : سلطان بن عبدالرحمن بن حميد العميري .

الدرجة : دكتوراه في العقيدة .

هدف الرسالة : ترجع أهداف الرسالة إلى ثلاثة أهداف أساسية :

١- الدراسة المعقمة لظاهرة نقد الدين التي ظهرت في الفكر الغربي الحديث .

٢- الكشف عن الأغلاط المنهجية والمعرفية التي وقعت فيها المنخرطون في تلك الظاهرة.

٣- إثبات قوة دين الإسلام ، وسلامة نصوصه وأحكامه من مواطن الخلل الواقعة في الأديان الأخرى .

موضوع الرسالة : يرجع الموضوع الذي تبحث فيه الرسالة إلى الأصول الوجودية والعقلية التي يقوم علها الإيمان بالله وبالنبوة والأديان .

أبواب الرسالة : تقوم الرسالة على ثلاثة أبواب أساسية :

الباب الأول : مكونات ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ، وفيه بيان أسباب تشكل تلك الظاهرة ، وتشكلاتها في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ، وبيان أهم تياراتها التي انخرطت فيها .

الباب الثاني : المرتكزات المنهجية التي قامت عليها ظاهرة نقد الدين ، وفيه بيان لأهم المرتكزات الفلسفية والعلمية التجريبية التي اعتمد عليها المنخرطون في تلك الظاهرة .

الباب الثالث : مجالات ظاهرة نقد الدين ، وفي بيان لأهم المجالات الدينية التي خاضت فيها تلك الظاهرة ، وهي : وجود الله وكماله ، والنبوة والوحي ، وأصل الأديان وطبيعتها

أهم النتائج : خلص البحث إلى نتائج متعددة ، ومن أهمها : أن أتباع ظاهرة نقد الدين وقعوا في أنواع عديدة من الأخطاء الاستدلالية والمغالطات المنطقية التي تدل على فساد مواقفهم وبطلان أقوالهم التي بنوها عن أصول الأديان الكبرى .

Thesis Abstract

Dissertation Title: A Critical Analysis of the Phenomenon of Criticizing Religion in Modern Western Thought

Author: Sultan ibnAbdur-RahmanibnHumayd al-Umayree

Level and Specialization: Ph.D. in Aqeedah

Objectives: This dissertation has three main objectives;

1- In-depth study of the phenomenon of criticizing religion which has appeared in modern western thought.
2- Exposing methodological errors and misinformation among those involved in this phenomenon
3- Proving the religion of Islam's strength and the integrity of its texts and rulings in contrast to other religions

Central Topic: the central theme of this dissertation is the existential and intellectual foundations which form the basis for sound beliefs about God, Prophethood, and religions.

Chapters: there are three main sections in this dissertation:

1- Factors that produced criticism of religion in modern western thought. This includes the discussing the formation of this phenomenon, its manifestations spanning from the seventeenth to the nineteenth Gregorian centuries, and the most important currents it has followed.
2- Methodological principles around which criticism of religion revolves. This includes discussing the most important philosophical and scientific principles utilized by those involved in this phenomenon.
3- The realms in which criticism of religion takes place. This includes discussion of the most important areas of religion affected by the phenomenon, those being the existence and perfection of God; Prophethood and revelation; and the origin and nature of religions.

Most salient results: this research produced several findings. Among the most important findings is that the people who subscribe to this phenomenon have committed numerous deductive and logical errors that prove the inaccuracy of the views and ideas they instituted concerning the major foundations of religion.

فهرس الموضوعـات